المواقف الاجتماعية لطلاب الجامعات
فى الشرق الأدنى

بقلم

ى . ترى بروثرو وليفوده ملكيانه
الجامعة الأميركية فى بيروت

أشار الدكتور مصطفى زيور[١] فى تحليله الأخير لسيكولوجية التعصب إلى ضرورة القيام بدراسات فى التباعد الاجتماعى فى الشرق الأدنى . وقد دلت دراسات التباعد الاجتماعى التى أجريت فى الولايات المتحدة على وجود نموذج ثابت ومحدود للمفاضلة فى البلدان الغربية . وأشار هارتلى وهارتلى[٢] فى تلخيصهما لهذه الدراسات بأن الأميركيين يميلون إلى تفضيل مواطنى أوربا الغربية على مواطنى أوربا الشرقية ، وتفضيل سكان أوربا على سكان آسيا . ويجب الإشارة هنا إلى أن هذا التفضيل النموذجى يتبع عادة القومية الأصلية التى ينحدر منها الأميركى ، وقد تتغير هذه القاعدة أيام الحرب بالنسبة لحلفاء الولايات المتحدة . وأنه لمن المناسب فى الوقت الذى ينمو فيه الوعى القومى فى الشرق الأدنى أن نتحقق من مواقف التلامذة الاجتماعية فى هذه المنطقة بالنسبة للجماعات القومية الأخرى . ولا شك أن معلومات كهذه تلقى ضوءاً على الصلة بين التباعد الاجتماعى والعلاقات الدولية وتعطينا أيضاً معلومات أساسية عن آراء هذه الفئة من سكان الشرق الأدنى

الإجراء

طلب من جماعتين مختلفتين من تلامذة الجامعة الأميركية فى بيروت إبداء شعورهم نحو الشخص العادى أو النموذجى من جماعات قومية مختلفة على أساس اختبار خمس درجات متساوية فى التباعد الاجتماعى حسب الأسلوب التالى[٣] :

(ا) لوكنت راغباً فى الزواج لتزوجت واحدة من هؤلاء :

(ب) إنى أرغب فى دعوة واحد من هؤلاء لتناول الطعام على مائدتى .

(حـ) أفضل أن يكون أحد هؤلاء من معارفى الذين التقى بهم وأتحدث إليهم فى الشارع فقط .

(د) لا أسر برفقة أحد من هؤلاء .

(هـ) أتمنى لو أن أحداً من الناس قتلهم جميعاً .

(و) لا أعرف شيئاً عن هذه الجماعة ولا أستطيع اتخاذ موقف ازاءها .

وقد كانت الجماعة الأولى مكوّنة من مئة وثلاثين (١٣٠) تلميذاً بينهم عشر فتيات يدرسون فى فصل الشتاء فى كلية الآداب والعلوم فى الجامعة الأميركية فى بيروت . كان بينهم سبعون ٧٠ مسيحيًّا وستون ٦٠ مسلماً موزعون على البلاد الآتية حسب الترتيب التالى :

لبنان ٧٧ ، سوريا ١٩ ، فلسطين ١٢ ، الأردن ١١ ، العراق ٦ ، البحرين ٥ ، وكانت أعمارهم تتراوح بين ١٦ — ٢٦ سنة والعمر الوسط ١٩ سنة . وقد طلب منهم تعيين موقفهم نحو أفراد اثنتى عشر جماعة قومية هى : اليابانيون ، اللبنانيون ، السودانيون ، السوريون ، السعوديون ، الأتراك ، الأميركيون ، الصينيون ، المصريون ، الأفرنسيون ، والعراقيون واليهود . وأما الجماعة الثانية فقد كانت مؤلفة من ١٠٢ من طلاب الدورة الصيفية فى الجامعة نفسها بينهم اثنان وستون ٦٢ مسلماً وأربعون ٤٠ مسيحيًّا موزعون على البلدان الآتية حسب الترتيب التالى : لبنان ٤١ ، المملكة العربية السعودية ١٥ ، سوريا ١٣ ، فلسطين ١١ ، العراق ٦ ، بلدان أخرى ١٦ . وكانت أعمارهم تتراوح بين ١٦ — ٣٦ سنة ومتوسط عمرهم ٢١ سنة ، كلهم من الذكور ما عدا أربع عشر فتاة . وقد طلب إليهم تعيين مواقفهم بالنسبة إلى الجماعات القومية الآتية من : الأميركيين ، والكنديين ، وزنوج الكونغو ، والإنكليز ، والأحباش ، والأفرنسيين ، والألمان ، واليونانيين والهنود ، والإيطاليين ، واليابانيين ، واليهود ، والباكستانيين ، والبولنديين ، والروس ، والإسكتلنديين ، والأسبانيين ، والأتراك .

طبع الاستفتاء باللغتين العربية والإنكليزية وطلب من الطلاب عدم توقيع أسمائهم — .

الجدول الأول

التباعد الاجتماعى بين طلاب فصل الشتاء واثنتى عشر جماعة قومية

	معدل أجوبة سبعين مسيحيًّا	معدل أجوبة ستين مسلماً
السوريون	٢,١٠	١,٩٧
اللبنانيون	٢,٠٦	٢,١٧
المصريون	٢,٣٨	٢,١٩
اليابانيون	٢,٦٤	٢,٤١
العراقيون	٢,٧٢	٢,٥١
الأميركيون	٢,٠٨	٢,٥٩
الأفرنسيون	٢,١٥	٢,٦٩
السعوديون	٢,٠٥	٢,٧٤
الصينيون	٢,٨٠	٢,٨٨
السودانيون	٣,٠٨	٢,٨٩
الأتراك	٣,٠٢	٣,٢٤
اليهود	٣,٥٤	٤.١٩

الجدول الثانى

التباعد الإجماعى بين طلاب الدورة الصيفية وثمانى عشر جماعة قومية

	معدل أجوبة أربعين مسيحيًّا	معدل أجوبة اثنين وستين مسلماً
الألمان	٢,٤٦	١,٩٤
الأسبان	٢,٢٧	٢,١٣
الأميركيون	١,٨٨	٢,١٧
الباكستانيون	٣,٣٥	٢,٢٩
اليونانيون	٢,٤٨	٢,٣٠

الكنديون	٢,١٠	٢,٤٥
الأفرنسيون	٢,٠٢	٢,٥٤
الإيطاليون	٢,٢٤	٢,٧١
الأتراك	٣,٤٥	٢,٧١
البولنديون	٢,٠٩	٢,٧٣
الإنكليز	٢,٢١	٢,٧٩
الإسكتلنديون	٢,٨٣	٢,٨١
الأحباش	٢,٧٤	٢,٨٤
اليابانيون	٢,٧٨	٢,٨٥
الهنود	٣,١٦	٢,٨٥
زنوج الكنغو	٣,٣٦	٣,٢٦
الروس	٢,٧٨	٣,٣١
اليهود	٣,٩٧	٤,٦٣

النتائج

الأول والثانى

يظهر فى الجدولين ١ و ٢ معدل التباعد الاجتماعى الذى أبداه الطلاب بالنسبة إلى أفراد القوميات المختلفة . أعطينا عند حسابنا هذه المعدلات قيم من واحد إلى خمسة للخمس أجوبة الممكن إعطاؤها على هذا الاختبار . وتدل قيمة ١ على أقل تباعد اجتماعى (لو كنت راغباً فى الزواج لتزوجت واحدة من هؤلاء) وقيمة ٥ تدل أكبر تباعد اجتماعى (أتمنى لو أن أحداً من الناس قتلهم جميعاً) ، ولم تحسب أجوبة (و) (لا أعرف شيئاً عن هذه الجماعة ولا أستطيع اتخاذ موقف إزاءها) ، كما أن شعور الطالب نحو جماعته لم يحسب أيضاً ، فمثلا لم يحسب شعور الطالب اللبنانى نحو اللبنانيين فى إحصاء معدل الموقف الاجتماعى العام نحو اللبنانيين .

إذا قابلنا بين أجوبة الجماعة الأولى وأجوبة الجماعة الثانية بالنسبة لنفس الجماعات القومية نرى تشابها محسوساً . لقد كان اتجاه تلامذة الدورة الصيفية

نحو كل من الأميركيين والأفرنسيين أقل ابتعاداً واتجاههم نحو اليابانيين واليهود أكثر ابتعاداً من تلامذة فصل الشتاء نحو نفس الجماعات . على أن هذه الفروقات غير مهمة من الوجهة الإحصائية على مستوى ٥ بالمئة . وهذا يثبت لنا أن الجماعتين لا تنتميان إلى أقسام من السكان تختلف فى مواقفها الاجتماعية .

فى أغلب الأحيان كانت الفروقات بين مواقف المسيحين والمسلمين ضئيلة جداً . ولكن فى الحالات الاستثنائية كانت الفروقات على درجة من الأهمية على مستوى ١ بالمئة ، ذلك أن قيمة (t) كانت أكثر من ٢,٦ ولذلك لا يمكن أن نعزوها إلى الحظ . ومن أبرز هذه الفروقات مواقف المسلمين الموافقة لألمانيا والباكستان ، ومواقف المسيحيين الأكثر ملائمة للفرنسيين ، والأميركيين ، والبولنديين ، والإنكليز ، والروس واليهود .

ومن الواضح إذا أن للعوامل الدينية بعض التأثير فى تعيين مواقف هؤلاء الطلاب . وعلى الغالب كان المسيحيون أكثر ميلا إلى الأمم الغربية من المسلمين باستثناء ألمانيا ، وذلك ربما يعود إلى تاريخ ألمانيا فى العشرين سنة الماضية إذ ناوءت ألمانيا فى خلالها الدول الغربية (المستعمرة) واتبعت سياسة ودية للإسلام ومناهضة لليهود .

ولا يتخذ الطلاب المسيحيون مواقف أكثر موافقة بالنسبة إلى الأمم الغربية من مواقف الطلاب المسلمين ، ولكنهم يرتبون مواقفهم القومية المختلفة ، (من حيث التفضيل بينها) ، بطريقة تشبه ترتيب الطلبة الأميركيين أكثر مما تشبه ترتيب زملائهم المسلمين . فإذا حسبنا معامل الارتباط (Rho) بين الدرجات التى حصل عليها طلابنا المسلمين والمسيحيين وطلاب بوغاردس الأميركيين الذين يبلغ عددهم ١٧٢٥ (٤) طالباً وجدنا ما يلى : المسلمين والمسيحيين من طلابنا ٠,٥٤ والأميركيين وطلابنا المسيحيين ٠,٦٩ الأميركيين وطلابنا المسلمين ٠,٤٣ ومع أن معامل الارتباط هذه إيجابية إلا أنها تظهر لنا أن أكبر تشابه هو بين طلاب بوغاردس الأميركيين وطلابنا المسيحيين .

وبالإضافة إلى العامل الدينى يوجد على الأقل ثلاثة عوامل أخرى تؤثر على التقديرات التى أعطاها طلابنا :

أولا : العامل الثقافى — نرى اتجاهاً عند طلابنا لتفضيل أفراد بلدان الشرق الأدنى نظراً لمشاركتهم لهم فى العادات والثقافة . ولهذا فقد حصل اللبنانيون

والسوريون والمصريون على أنسب الدرجات .

ثانياً : العامل السياسى — نرى اتجاهاً واضحاً لتفضيل الدول التى انتهجت سياسة خارجية ودية تجاه الشرق الأدنى . فإن الدرجات العليا لألمانيا وأسبانيا والدرجات الدنيا لإنكلترا وإسكتلندا ربما ترجع إلى هذا العامل . أما استثناء أميركا الظاهر من هذا الموقف فقد يفسر على أساس أن هذه الدراسة قد أجريت فى مؤسسة أميركية .

ثالثاً : عامل صناعى اقتصادى — يوجد اتجاهاً لنبذ أعضاء الأمم المتأخرة صناعياً واقتصادياً كالموقف غير الملائم نحو كل من الهنود والصينيين والسودانيين وزنوج الكونغو .

ومما يظهر أن إعطاء هذه الدرجات لبعض الأمم يتأثر بأكثر من عامل واحد . فمثلا أن موقف المسيحيين نحو الباكستانيين لا يختلف عن موقفهم نحو الهنود . أما موقف المسلمين نحو الباكستانيين فمناسب جداً نظراً لتشابهه فى الدين وفى بعض التقاليد .

أما الدرجات القليلة التى أعطيت لليهود فهى برهان للعدواة التى يكنها هؤلاء الطلاب نحو دولة إسرائيل . أما بعض التأكيدات التى تظهر أحياناً فى الصحف العالمية ، بأن الشعور العدائى نحو اليهود فى طريق الاضمحلال أو أنه مقيد بأقلية من الزعماء لا يوجد لها أى أساس ولا تدعمها نتائج هذه الدراسة . إن الأكثرية من الطلاب أعربت عن شعورها نحو اليهود بقولها « أتمنى لو أن أحداً من الناس قتلهم جميعاً » . أما الدرجة التى أعطيت لهم فقد كانت أقل درجة يمكن أن نحصل عليها فى دراسة كهذه .

وقد يتبين لنا بوجه عام أن التباعد الاجتماعى لا يتوقف على الألفة أو على بعض الصفات المنسوبة لجماعة من الجماعات فقط بل أن هنالك عوامل سياسية اقتصادية مهمة ، تؤثر على العلاقات الدولية . ولهذا فإن نجاح أى برامج لتنمية أواصر الصداقة ولإزالة الخصومة والعداء بين أفراد الأمم لا يتوقف على زيادة الصداقة المتبادلة وزيادة المعرفة بين الأفراد فقط ، بل يجب أن تأخذ بعين الاعتبار التوترات الاقتصادية والسياسية بين الأمم لأنها ، كالجهل وعدم الفهم ، تولد العداوة والخصومة .

الخلاصة

اشترك مئتان واثنان وثلاثون طالباً من طلاب الجامعة الأميركية فى بيروت فى استفتاء عن التباعد الاجتماعى أعربوا فيه عن آرائهم نحو عدد من الجماعات القومية المختلفة ، وقد استنتجنا من تحليل أجوبتهم بأن الدين عامل هام فى تكوين آرائهم . وقد شابهت آراء الطلاب المسيحيين منهم آراء الطلاب الأميركيين أكثر مما شابهت آراء زملائهم المسلمين . وقد ظهرت عوامل أخرى منها تفضيل الطلاب أبناء بلدان الشرق الأدنى على غيرهم وتفضيل الأمم التى انتهجت سياسة خارجية ودية للشرق الأدنى ، ونبذ الأمم المتأخرة صناعياً واقتصادياً . وقد اقترح بأن عوامل أخرى عدا الجهل وعدم التفاهم تسبب عداوة بين أفراد الأمم المختلفة ..

المراجع

١ ــ الدكتور مصطفى زيور ــ سيكولوجية التعصب . مجلة علم النفس المصرية ، مجلد ٧ ، عدد ٣ .

2. Hartley, E.L. & Hartley, Ruth *Fundamentals of Social Psychology*. New-York : Knopf, 1952, p. 692.
3. Dodd, S.C. "A social distance test in the Near East." *American Journal of Sociology*, 1935, 41, 194-204.
4. Bogardus, E.S. *Immigration and Race Attitudes*. Heath, 1928, p. 25.